الفصل الثاني

قبيلة الشاعر

- نسبهم
- بلادهم ومنازلهم
- ديانتهم في الجاهلية
- إسلامهم
- منزلتهم بين القبائل

obeikandl.com

obeikandl.com

نسبهم[1]:

ينسب عمرو بن معد يكرب إلى قبيلة زُبيد ـ بضم الزاي[2]، وفتح الباء ـ التي تضرب أصولها إلى مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان والمعروف[3] بمذحج، ومن مذحج هذا تشعبت قبائل كثيرة منها: خولان وهم بنو خولان بن مذحج، وجنب وهم بنو يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج، والنخع وهم بنو النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج، وسعد العشيرة[4] وهم بنو سعد العشيرة بن مذحج، وتضم سعد العشيرة بطونا كثيرة من أشهرها بنو منبه المعروف بزبيد الأكبر ـ ابن صعب بن سعد العشيرة والذي يرجع إليه كل زبيدي[5]. ومن ولد زبيد الأكبر هذا

---

(١) انظر العقد الفريد ٣/ ٣٩٣، ونهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٠١، وصبح الأعشى ١/ ٣٢٧، ونسب قحطان وعدنان للمبرد ١٩، والخزانة ٣/ ٧٦.

(٢) الأنساب ٦/ ٢٦٣، ولب اللباب في تحرير الأنساب ١٠/ ١٢٤ وقلائد الجمان/ ٩٠، والاشتقاق/ ٤١١.

(٣) جاء في صبح الأعشى ١/ ٣٢٦ أن قبائل مذحج «سموا بذلك لكونهم تحالفوا عند شجرة اسمها مذحج فسموا باسمها» ولعل اسم هذه الشجرة أطلق بعد ذلك على جدهم الأول الذي يجمعهم وينتسبون إليه وهو مالك بن أدد.
وفي القاموس ١/ ١٩٠، ومذحج كمجلس أكمة ولدت مالكا وطيئا أمهما عندها فسموا مذحجا».
وفي خزانة الأدب ٣/ ٧٦. أن مذحج اسم امرأة وهي بنت ذي فيحشان كانت أمها ولدتها على أكمة يقال لها مذحج فلقبت بها.

(٤) في صبح الأعشى ١/ ٣٢٦. وسعد العشيرة سمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعا للعين عنهم، فقيل له سعد العشيرة.

(٥) نهاية الأرب «للنويري» ٢/ ٣٠١ والأنساب ٦/ ٢٦٣.

زبيد[1] الأصغر الذي ينتسب إليه شاعرنا واسمه منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه يقول شاعرنا عمرو بن معد يكرب :[2]

وآوي إلى فـــرعِ جُـــرثـــومـــةٍ وعـــزٍّ يفـــوقُ يـــدَ البـــاهش[3]
وسعـــــد أبـــــو حكمٍ منصبـي بـــه كُنت أعلـــو على الطـــائش

---

(١) في جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٢٤٤ ونهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٠١ : زبيد سموا بذلك لأن منبها الأصغر قـال من يزبـدني رفده؟ أي من يحالفني ، فأجـابه أعمامه كلهـم من زبيد الأكبر فقيل لهم جميعا زبيد .

وفي الاشتقاق لابن دريد/ ٤١١ : زبيد تصغير زبد ، والزبد : : العطية . زبدته أزبده زبدا .

وجاء في خـزانة الأدب ١/ ٤٢٦ ما نصه : «وزبيـد مصغر زبدة أو زبـد والزبد العطاء يقـال زبده زبدا إذا أعطاه . وقـال شارح ديـوانه من يـزبدني نصره أي يـرفدني والـزبد في كـلام العرب الـرفد والمعونة ، وكذا رأيت في جمهـرة الأنساب إنما سمي زبيدا لأنه قال من يزبـدني نصره لما كثر عمومته وبنو عمـه فأجابـوه كلهم فسموا كلهـم زبيـدا ما بين زبيد الأصغـر إلى منبه بن صعب وهـو زبيد الأكبر وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زبيدا» .

(٢) الديوان / ١٢٤ .

(٣) الجرثومة : الأصل ، الباهش : الرجل الأريحي

obeikandl.com

بلادهم ومنازلهم

كان المذحجيون يسكنون اليمن وكان لبني زبيد رهط عمرو بن معد يكرب حصون ومخاليف باليمن منها «[1] أنسب، وسازه، ومشوه، وهيوه، وفعن وحماك، وعصم»، وأمول التي وردت في شعر سلمى بن

رجالُ بني زُبيد غيَّبتهُم جبالُ أمولٍ، لا سُقيت أمُول

أما زَبيد ـ بفتح الزاي ـ فوادٍ من أشهر أودية اليمن، وبه سميت مدينة الحصيب، فأصبحت تعرف بزبيد وليست من مساكن بني زبيد وإنما كانت للأشاعرة من قبائل كهلان، وخالطهم بآخرها بنو واقد من ثقيف[2]. ومن بلاد بني زُبيد أيضا تثليث وبها كان مسكن عمرو بن معد يكرب شاعرنا وكان له فيها حصن ونخل. وأقف عند هذه البلدة لكونها مسكن عمرو فأذكر تحديد العلماء لها وسكانها وما ورد فيها من الأشعار.

روى البكري عن الهمداني قوله[3] «تثليث واد بنجد وهو على يومين من جرش[4] في شرقيها إلى الجنوب، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران إلى

---

(١) معجم البلدان: ٢/ ٢٦٥ و١٠/ ١٧١ و١٧/ ٥٥ و١٩/ ٤٢٢ و١٥/ ٢٦٨ و٢/ ٢٥٥ و٧/ ٢٩٨ و١٣/ ١٢٨.

(٢) قبائل اليمن ومخاليفها «مخطوط» ١٨٢ و٢٦٤ وصفة جزيرة العرب/ ٥٣.

(٣) معجم ما استعجم ٣٠٥ ــ وقد ذكر الأستاذ السقا محقق معجم ما استعجم أنه بحث عن هذه العبارة في كتاب صفة جزيرة العرب المطبوع في مطبعة بريل بليدن سنة ١٨٨٤ لأبي محمد الحسن ابن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ فلم يعثر عليها في جميع المواضع التي ذكر فيها تثليث من الفهرسة.
وبحثت أيضا في الكتاب المذكور فلم أجد هذه العبارة.

(٤) جرش: تبعد عن خميس مشيط بنحو ١٥ كم بها آثار قديمة.

ناحية الشمال قال: وتثليث لبني زبيد وهم فيها إلى اليوم وبها كان مسكن عمرو بن معد يكرب الزبيدي.» وكان[1] له فيها حصن ونخل.

ويقول ياقوت، وتلاه البغدادي، وكذلك محققا الأصمعيات شاكر وهارون: «[2] تثليث بكسر اللام موضع بالحجاز قرب مكة» ويقول البكري[3]: «تثليث» بفتح أوله وإسكان ثانيه وكسر اللام بعدها ياء وثاء مثله موضع ببلاد بني عقيل واستشهد بقول مزاحم العقيلي يذكر رجلين من قومه:

فسارا من الملحين: ملحي صعائد ... وتثليث سيرا يمتطي فِقَرَ البُزْلِ[4]

فما قصرا في السير حتى تناولا ... بني أسد في دارهم وبني عُجْلِ

وقال أيضا: إنها من ديار تميم واستشهد بقول سلامة بن جندل التميمي:

سأُهدي وإن كنا بتثليث مِدحة ... إليك وإن حَلَّت بيوتك لَعْلَمَا[5]

وذكر أن قول كعب بن زهير يخاطب قومه بني عبد الله بن غطفان:

ولا أَلفِيَنْكُمْ تَعْكِفُون تُقيةً ... بتثليث، أنتم جُنْدُهَا وقطينُها

يدل على أن لقومه منازل بتثليث، إلاّ إن أراد لا ألفينكم محالفين بني تميم تقية.

كما ذكر أن قول الحارث بن عوف المري:

وبتثليث مذجح جَدَّت النا ... س كما جدت العِضَاهَ القدوم[6]

---

(١) صفة جزيرة العرب: ١٦٦.

(٢) معجم البلدان ٢/ ٥، مراصد الاطلاع ١/ ٢٥٥، الأصمعيات ٨٨.

(٣) معجم ما استعجم: ٣٠٤

(٤) فِقَر: جمع فِقْرَة وهي واحدة فَقار الظهر ـ البُزُل: جمع بَزَل، وبَزَل البعيرُ يبزل بزولاً، فطر نابه، أي انشق، فهو بازل، ذكرًا كان أو أنثى، وذلك في السنة التاسعة وربما بزل في السنة الثامنة.

(٥) أعلم نفسه وفرسه: جعل له أولها علامة في الحرب.

(٦) جَدَّت: قطعت، العِضَاهَ: كل شجر له شوك صغر أو كبر. الواحدة: عِضَاهةٌ.

يدل على أنها من ديار مذحج.

ويقول ابن بليهد: «[1] تثليث أقرب تحديد له ما ذكره الهمداني، وهو وادٍ عظيم يقع عن بلد بيشة مما يلي مطلع الشمس، يحمل هذا الاسم إلى هذا العهد، وسكانه من العهد الجاهلي إلى هذا العهد من بطون قحطان على اختلافها، يبعد عن بلد بيشة أربع مراحل لحاملة الأثقال»[2].

هذا ولقد زرت بلاد تثليث وهي من مدن المملكة العربية السعودية وأقرب تحديد لها ما ذكره الهمداني وابن بليهد تقع جنوب المملكة العربية السعودية وتبعد عن نجران نحو ١٥٠ كم إلى ناحية الشمال «انظر الخارطة التي تلي هذه الصفحة حيث يظهر موقع تثليث والمسافة بينها وبين نجران وبيشة وخميس مشيط». وسكانها الآن من قبائل قحطان ومساكنهم على الطراز القديم حيث اللَّبِنُ والطين، وبها نخيل ومزارع قليلة وكانت قديما مشهورة بالأشجار. يقول ابن مقبل:[3].

كأنهن الظباء الأدم أسكنها ضَال بتثليث أو ضَال بدارينا[4]

وبها أودية معروفة الآن، منها وادي تثليث ولعل البلدة سميت باسمه ووادي جاش ووادي الحصير ووادي عقوبة ووادي الحمضة، وبهذا الوادي جبل يسمى جبل الشقيب، فيه معادن من النحاس والحديد بكميات كبيرة.

---

(١) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) قدرت المرحلة بأربعين كيلاً وثلاثمائة وعشرين مترًا.
(الفقه على المذاهب الأربعة ١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

(٣) معجم ما استعجم / ٣٠٥.

(٤) ورد في الصحاح ٥/ ١٨٥٩ أن الأصمعي قال: الأُدْمُ من الظباء بيض تعلوهن جُدَدٌ فيهن غبرَة، تسكن الجبال، وهي على ألوان الجبال.
الضال: السدر البري. دارين: ورد في معجم البلدان أنها فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند.

وقد اهتمت الحكومة السعودية بتثليث، فأنشأت فيه الدوائر والمدارس وقامت بتعبيد الطرق الموصلة لها من المدن المهمة جنوب المملكة كبيشة وخميس مشيط.

وقد اشتهرت تثليث في الشعر العربي، يقول شاعرنا عمرو بن معد يكرب يخاطب العباس[1] بن مرداس[2]:

أعباس لو كانت شيارًا جيادنا بتثليث ما ناصيت بعدي الأحامسا[3]

وقال طرفة بن العبد:

بتثليث أو نجران أو حيث تلتقي من النجدِ في قيعان جاش مَسَايِلُهْ[4]

وقال العامري:

يا جارتي: وقد أرى شبهيكُما بالجزع من تثليث أو ببينما[5]
عنزين بينهما غزالٌ شادنٌ رشأ من الغزلان لم يك توأما

وقال أعشى باهلة من قصيدة له يرثي بها أخاه لأمه المنتشر بن وهب[6]:

وجاشتِ النَّفسُ لما جاء جمعُهُم وراكبٌ جاء من تثلِيثَ مُعتمر[7]
يأتي على الناس لا يلوي على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر
إن الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النّهي والأَمْرُ

---

(١) العباس بن مرداس: شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة.

(٢) معجم ما استعجم / ٣٠٤.

(٣) الشيار: الحسان ـ تناصيا: تواخذا بالنواصي، الأحامس: بنو عامر بن صعصعة.

(٤) صفة جزيرة العرب: ١٧٦ و٢٢٢.

(٥) بلاد العرب: ١٤٩.

(٦) الأصمعيات: ٨٨ ـ ٨٩.

(٧) جاشت: ارتاعت واضطربت. معتمر: زائر وقيل المتعمم بالعمامة.

ديانتهم في الجاهلية

كانت قبائل مذحج في الجاهلية تعبد الأصنام وتقدسها شأنها في ذلك شأن معظم القبائل العربية؛ فمن أصنامها المقدسة ذا الخصلة[١] ويغوث[٢] الذي ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [٣]. وفي شعر عمرو بن معد يكرب إشارة إلى العزى مما يدل على أنها مقدسة عندهم أيضا يقول:

فإني لو أدركتك ابن خويلد علوتك والعزى بصمصامة عضب [٤]

والعزى بيت ببطن نخلة تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم وقد هدمها خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو يقول:

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

وكان صاحبها لما سمع بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها سيفه وهو يقول:

أيا عز شدي شدة لا شوى لها
على خالد ألقى القناع وشمري
يا عزّ إن لم تقتلي المرء خالدا
فبوئي بإثم عاجل أو تنصري [٥]

---

(١) الأصنام ٣٤.

(٢) الأصنام ١٠.

(٣) سورة نوح آية ٢٣.

(٤) الديوان: ٣٦.

(٥) السيرة ٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ والكامل لابن الأثير ٢/ ١٧٢.

وقد ورد ذكرها في القرآن : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾(١) .

ووجدت جاليات يهودية ونصرانية في تلك الفترة، فكان طبيعيا أن يحصل اللقاء والاختلاط بينهم وبين قبائل تلك المنطقة، وقد ظهر أثر هذا الاختلاط في اللغة، وخير شاهد على ذلك شعر عمرو بن معد يكرب، فقد ورد في شعره إشارة إلى كنائس اليهود يقول :

عمرت مجال الخيل بالبيض والقنا كما عمرت شمط اليهود الكنائسا (٢)

وجاء في شعره أيضا أن النبي سليمان عليه السلام هو الذي كان يصنع الحديد يقول :

تمنى أن يلاقيني قييس وددت وأينما مني ودادي
تمناني وسابغتي دلاص كأن قتيرها حدق الجراد
مضاعفة تخيرها سليم خروس الحس محكمة السراد (٣)

ولعله أخذ ذلك من الجالية اليهودية التي وجدت باليمن تلك الفترة في حين أن النبي داود عليه السلام هو المشهور بصناعة الحديد لا سليمان قال تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ، وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾(٤) .

---

(١) سورة النجم آية ١٩ و٢٠ .
(٢) الديوان ١١٤ .
(٣) الديوان/ ٦٢ .
(٤) سورة الأنبياء آية ٧٩ و٨٠ .

إسلامهم

ما إن أشرقت شمس الإسلام، وأضاءت الكون بشعاعها، وسلخت ليل الشرك ونسخته وأتم الله نعمته على الإسلام والمسلمين بفتح مكة سنة «٨ هـ» حتى أخذت أمم الأرض تدخل في دين الله أفواجا وأَمَّتْ الوفودُ مكةَ معلنة إسلامها على يدي المصطفى ﷺ، ومن بينها وفود «مذحج»[١] «مراد، وزبيد، وبني الحارث بن كعب، والراهويين والنخع؛ ففي السنة العاشرة قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقا ملوك كندة[٢] ومعاندا لهم قائلا:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها[٣]
يَمَّمْتُ راحلتي أؤم محمدا أرجو فضائلها وحسن ثرائها

واستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها وشهد لقومه بالخير، وذلك بعد أن قال له: يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم؟ [٤] فقال: يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك؟. فقال رسول الله ﷺ: إن ذلك لا يزيد قومك في الإسلام إلا خيرا، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص فكان على الصدقات، وكان معه في بلاده إلى أن توفي رسول الله ﷺ، وقدم[٥] وفد زبيد مع عمرو بن معد يكرب، وأعلنوا

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٠٢ وكتب السيرة.
(٢) وذلك أنه كان مواليا لهم.
الأعلام ٥/ ٣٤٥.
(٣) عرق نسائها: هو عرق مستبطن في الفخذ.
(٤) الرزم: اسم موضع كان فيه يوم بين مراد وهمدان ظفرت فيه همدان وأكثروا القتلى من مراد. الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٢
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٣ وكتب السيرة.

إسلامهم وكان قدومهم بعد[1] قدوم فروة، كما[2] قدم وفد الرهاويين وهم بطن من مذحج، وأرسل[3] الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وهم بطن من مذحج وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم. فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين بن يزيد ابن قينان ذي الغصة، ويزيد بن عبد المدان وغيرهما فقدموا على رسول الله ﷺ ثم عادوا عنه، وأرسل إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم، وفي السنة الحادية عشرة قدم وفد النخع على رسول الله وعلى رأسهم زرارة بن عمرو فأسلموا. وبعث الرسول عليا إلى[4] اليمن فأسلمت على يديه همدان كلها في يوم واحد وكتب إلى الرسول بذلك فقال الرسول ﷺ: السلام على همدان ثلاثا ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وبلغ الرسول ذلك فسجد شكرًا لله.

وهكذا أسلمت قبائل مذحج ولكن يبدو أن إسلامهم لم يكن عن اقتناع وإدراك وفهم وذلك أنه لما تنبأ الأسود العنسي[5] باليمن اتبعوه إلا القلة الخالصة ـ وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد الرسول ﷺ، ولعل الذي دفعهم إلى الالتفاف حوله والانضواء تحت رايته هو عدم تمكن الإيمان من نفوسهم من ناحية، وعصبيتهم القبلية من ناحية أخرى تلك العصبية التي

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ١٦٠ وابن خلدون ٢/ ٨٣٣.
(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٤.
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٢٠٥.
(٥) عنس سبق وأن ذكرت أنهم بطن من مذحج أُنظر كتب السيرة حيث تحدثت عن ردة العنسي وأتباعه.

كانت مسيطرة على القبائل العربية في العصر الجاهلي والتي عبر عنها دريد ابن الصمة بقوله :[1].

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإنْ ترشد غزية أرشد

فغيه ورشده مرتبطان بعشيرته إن ضلت ضل معها وإن اهتدت اهتدى بهداها، وعبر عنها أيضا طلحة النمري بقوله[2] لمسيلمة الكذاب «من يأتيك؟ فقال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ قال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب، وأن محمدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر» فهو إذًا يعلم علم اليقين أن محمدا صادق ولكن عصبيته لقومه دفعته إلى السير وراء مسيلمة مع علمه أنه كذاب.

وهذه العصبية هي التي جعلت قبائل أسد[3] وغطفان وطيئ تتبع طليحة ابن خويلد الأسدي لما ادعى النبوة يقول[4] عيينة بن حصن الفزاري: «لأن نتبع نبيا من الحليفين ــ يعني أسدًا وغطفان ـ أحب إلينا من أن نتبع نبيا من قريش، وقد مات محمد وبقي طليحة».

غير أن قبائل مذحج عادت إلى حظيرة الإسلام بعد قتل الأسود وتفريق جموعه على أيدي الجيوش الإسلامية التي جردها أبو بكر لقتال المرتدين فكفّرت عن ردتها بما بذلته من جهود في الفتوحات الإسلامية ولقيت من الحروب في سبيل الله ما تشيب لهولها الولدان. وكان منهم القادة الذين دوخوا الأكاسرة.

وكان منهم الأبطال الذين فتحوا أرقى الأمم مدنية وأعظمها حضارة، فارس والروم.

---

(١) الأصمعيات: ١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٤٦.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٢/ ٢٣٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٣٠.

منزلة قومه بين القبائل

سبق وأن تحدثت عن حالة العرب الاجتماعية وكيف كانت الحروب عندهم مشتعلة، ومصدرا من مصادر رزقهم، وقد عرف قوم عمرو بالبطولة واشتهروا بالشجاعة والشرف في هذه الحروب فكان يقال:

مذحج مذحج[1] الطعان، ويقال سنان العرب[2] مذحج، وكانت لهم أيام مشهورة، منها يوم[3] فيف الريح. وفيف الريح[4] موضع بأعالي نجد «كان[5] الصبر فيه والشرف لبني عامر، وقد اجتمعت كلها إلى عامر ابن الطفيل على قبائل مذحج، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بني الحارث ابن كعب وجعفي وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي واستغاثوا بخثعم فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك وأسرع القتل في الفريقين، فاحترقوا ولم تغنم طائفة منهم طائفة» وفي هذا اليوم يقول عمرو مادحا قومه

أخبر المخبر عنكم أنكم يوم فيف الريح أبتم بالفلج[6]

ومن أيامهم أيضا يوم تثليث وفيه «غزت[7] سليم مع العباس بن مرداس مرادا فجمع لهم عمرو بن معد يكرب فالتقوا بتثليث فصبر الفريقان ولم تظفر

---

(١) العمدة: ٢/ ١٩٤ والعقد الفريد ٣/ ٣٣٤.

(٢) العقد الفريد: ٣/ ٣٣٤.

(٣) العقد الفريد ٥/ ٢٣٥.

(٤) معجم البلدان ٤/ ٢٨٥.

(٥) العمدة ٢/ ٢١٣.

(٦) الديوان: ٤٧. والفلج: الظفر والفلاح.

(٧) العمدة: ٢/ ٢١٧.

طائفة منهم بالأخرى وفي ذلك اليوم صنع العباس بن مِرْداس قصيدته[1] السينية وهي إحدى المنصفات[2] قال :

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا ... وأقفرَ منها رَحْرَحانَ فراكِسا[3]
فجَنْبي عسيبٍ لا أرى غيرَ ماثلٍ ... خلاءً من الآثار إلا الرَّوامسا[4]
ليالي سلمى لا أرى مثل دَلّها ... دلالاً وأُنْسًا يُهْبِطُ العُصْمَ آنسا[5]
وأحسَنَ عهدًا للمُلِمِّ ببيتِها ... ولا مجلسًا فيه لمن كان جالسا
تضوَّعَ منها المسكُ حتى كأنما ... ترجَّلَ بالرَّيحان رطبا ويابسا[6]
فدَعْها ولكن هل أتاها مقادُنا ... لأعدائنا نُزْجي الثِّقال الكوانسا[7]
بجمع يريد ابني صُحَارٍ كليهما ... وآل زُبَيْد مُخطئًا ومُلامسا
على قُلُصٍ نعلُو بها كلَّ سَبْسَبٍ ... تخالُ به الحِرْباء أشمطَ جالسا[8]
سَمَوْنَا لَهُمْ تِسعًا وعشرين ليلةً ... نجوبُ من الأعراضِ فقرًا بَسَابسا
فبتنا قُعودا في الحديد وأصبحوا ... على الرُّكُبات يَحْرُدون الأنافِسا[9]

---

(١) الأصمعيات : ٢٠٤

(٢) في شرح الأصمعيات : ١٩٩ : المنصفات هي القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم من أمحاض الإخاء . ويروى أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال :

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدبر

(٣) وفي القاموس رحرحان واسع منبسط ورحرحان جبل قرب عكاظ له يوم .

(٤) الروامس : الآثار المرموسة أي المطموسة .

(٥) العصم : جمع أعصم وعصماء، وهو الوعل .

(٦) تضوع المسك : تحرك فانتشرت رائحته . والترجل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

(٧) الكوانس : من كنس الظبي إذا دخل في كناسه . جعله لدخول المرأة في هودجها .

(٨) القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قلص . والسبسب المفازة أو الأرض المستوية البعيدة . والشمط : بياض شعر الرأس يخالطه سواده .

(٩) يقال حرد اللحم، إذا قطعه .

فلم أر مثل الحيِّ حيًّا مُصَبَّحًا ... ولا مِثْلَنا لما التقينا فوارسا
أكرَّ وأحمى للحقيقةِ منهمُ ... وأضرَبَ مِنَّا بالسيوفِ القَوانسا(١)
وأحْصَننا منهم فما يبلُغونَنا ... فوارِسُ منا يحبِسُون المحابسا
إذا ما شددنا شدَّةً نَصَبوا لها ... صدور المَذَاكي والرِّماح المَدَاعِسا(٢)
إذا الخيلُ جالتْ عن صريعٍ نُكِرُّها ... عليهم فما يَرْجِعن إلاّ عَوَابِسا(٣)
نُطاعِنُ عَنْ أحسابنا برماحنا ... ونضربُهم ضربَ المُذِيدِ الخَوامِسا(٤)
وكنتُ أمام القومِ أوَّل ضاربٍ ... وطاعَنْتُ إذْ كان الطِعانُ تَخَالُسا
فكان شُهودي مَعْبَدٌ ومُخارِقٌ ... وبِشْرٌ، وما اسْتَشْهَدْتُ إلاّ الأكايسا(٥)
مَعِي ابنا صُرَيْم دَارعان كلاهما ... وعُرْوَةُ، لولاهُم لقِيتُ الدَّهَارسَا(٦)
ومارَسَ زيدُ ثم أقْصَر مُهْرُهُ ... وحُقَّ له في مثلها أن يُمَارِسا(٧)
وقُرَّةُ يَحميهم إذا ما تبَدَّدُوا ... ويَطْعُنُهم شزرًا فأبرحت فارِسا(٨)
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضِباعٌ بأكنافِ الأراكِ عَرَائسا(٩)

---

(١) أكرَّ: أكثر كرا. الحقيقة: ما يحق على المرء أن يحميه. والقوانس: جمع قونس وهو أعلى بيضة الرأس.

(٢) المذاكي: جمع مذك، وهو ما جاوز القروح بسنة. وقد قرح الفرس، إذا دخل في السادسة، المدعس من الرماح: الغليظ الشديد الذي لا ينثني.

(٣) العوابس: الذئاب العاقدة أذنابها.

(٤) المذيد: جمع هو الذي يعينك على ما تذود. الخوامس: الإبل التي وردت خمسا وهو أن تشرب يوما وترعى ثلاثة ثم ترد في اليوم الخامس.

(٥) الأكايس: جمع الأكيس. والكيس: العقل.

(٦) الدهارس: الدواهي.

(٧) أقصر: كف ونزع.

(٨) أبرحت: جئت بأمر مفرط معجب.

(٩) يشير إلى ما يكون من الضباع من ولوعها بركوب القتلى جاء في الحيوان ٦/ ٤٥٠، أنه إذا بقي القتيل بالعراء انتفخ أيره، لأنه إذا ضربت عُنقه يكون منبطحا على وجهه، فإذا انتفخ انقلب، فعند ذلك تجئ الضّبع فتركبه فتقضي حاجتها ثم تأكله.

ولكنهم في الفـــارسيِّ فـــلا تـــرى من القـوم إلا في المُضَاعَفِ لابسـا[1]
فإن يقتُلُـــوا منـــا كـــريمًا فإننـــا أَبَـأْنـــا بـه قَتْلَى تُـذِلُّ المَعَـاطِسـا[2]
قتلنـــا بـــه في مُلتقـى الخيل خمسـةً وقـــاتِلَـهُ زِدْنـــا مع الليل سـادِسـا
وكُنَّـــا إذا مـــا الحربُ شبَّت نشُبُّهـــا ونضربُ فيهـا الأبلخَ المُتقَـاعِسـا[3]
فـــأُبنـا وأبقَى طَعْنُنَـــا من رمـاحنـــا مَطَـــارِدَ خَطِّيٍّ وحُمرًا مَـدَاعسـا[4]
وجُـــردًا كأن الأُســـد فـــوق مُتُـــونها من القـــوم مـرؤوسًـا وآخـــرَ رائسـا

وقد أجابه عمرو بقصيدة من الوزن نفسه والقافية نفسها حفظ منها قوله :

لمن طلل بـــالعمـق أصبح دارسـا تبـــدل آرامًـــا وعينـــا كـــوانسـا[5]
تبـــدل أدمـــان الظبـــاء وحيرمـا وأصبحت في أطـلالها اليـوم حابسـا
أعبـاسُ لـو كانـت شيارًا جيـادُنـا بتثليثَ ما ناصيت بعـدي الأحامسا
لـدسنـاكم بـالخيل من كل جـانبٍ كما داس طبـاخُ القـدور الكـرادِسَـا
بمعترك شط الحُبيّـــا تـــرى بـــه من القـوم محدوسًـا وآخـرَ حـادسـا
تســـاقت بـــه الأبطـــالُ حتى كأنها حُنِيٌّ بـــراهـا السير شعثـا بـوائسـا
ولكنهـــا قيـــدت بصعـــدة مـــرة فأصبحن ما يمشينَ إلا تكـاوساوي
فيـومـــا تـرانـا في الخُزُوزِ نجـــرهـا ومـــا تـــرانـــا في الحديـــدِ عـوابسـا
ويـــومـــا تـــرانـــا في الثـريـــد نَبسـه ويـــومـا ترانـا نكسر الكعكَ يـابسـا
عمـرت مجال الخيل بالبيض والقنـا كما عمـرت شمطُ اليهـودِ الكنائسـا
ونُسمع للهنـــدي في البيـضِ رنـــة كـــرنـــةِ أبكـــارٍ زُفِفْن عـــرائسـا

---

(١) الفارس : يعني به الدروع . المضاعف : المنسوج حلقتين حلقتين .
(٢) أباءه : قتله به . البواء : السواء والكفء . المعاطس : الأنوف .
(٣) الأبلخ : المتكبر .
(٤) المطرد : الرمح القصير . والخطي : نسبة إلى الرماح الخطية وهي بلدة في البحرين .
(٥) الديوان / ١١٢ .
وسيأتي معاني الكلمات الغريبة عند الحديث عن أغراض شعره .

وقد حفظ للعباس أكثر من قصيدة في خطاب عمرو في حين لم يرد لعمرو غير الأبيات السالفة وأغلب الظن أن معظم أشعاره في تهديد العباس وقومه وذمهم قد فقد وضاع.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[1]: مَن أجود العرب؟ قالوا: حاتم طيئ، قال: فمن فارسها؟ قالوا: عمرو بن معد يكرب؟ قال: فمن شاعرها؟ قالوا: امرؤ القيس بن حجر قال: فأي سيوفها أقطع؟ قالوا: الصمصامة، قال: كفى بهذا فخرا لليمن، ووقف جماعة[2] من الأنصار على دغفل النسابة بعدما كف، فسلموا عليه، فقال: من القوم؟ قالوا: سادة اليمن، فقال: أمن أهل مجدها القديم وشرفها العميم كندة؟ قالوا: لا: فأنتم أقودها للزحوف وأخرقها للصفوف وأضربها بالسيوف رهط عمرو بن معد يكرب؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أحضرها قراء وأطيبها فناء، وأشدها لقاء رهط حاتم بن عبد الله؟ قالوا: لا ؟ قال: فأنتم الغارسون للنخل، والمطعمون في المحل، والقائلون بالعدل الأنصار؟ قالوا: نعم.

وتغنى عمرو ببطولات قومه وسجل انتصاراتهم في شعره يقول:

وحيا من بني صعب بن سعد سقوا الأرصاد والديم الغزارا[3]

واقرأ داليته:

لمن طلل بتيمان فجند كأن عراصه توشيم برد

تجدها سجلا حافلا لمآثر قومه تقرأه الأجيال على مر العصور يقول فيها:

---

(١) العقد الفريد: ٣/ ٣٣٤ وحلية الفرسان وشعار الشجعان ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) العقد الفريد: ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ والأمالي ٢/ ٢٨٤.

(٣) الديوان / ٩٩

في القاموس: الرصد محركة الراصدون والقليل من الكلأ والمطر جمع أرصاد وأرض مرصدة كمحسنة بها شيء من صدأ والتي مطرت وترجى لأن تنبت.

وأود نـــاصري وبنـــو زبيـــد ومن بـالخيف من حكم بن سعـد
لعمـــرك لـــو تجرد من مُـــرادٍ عـــرانين على دُهْمٍ وجُـــرد
ومن عنسٍ مغـامـــرةٍ طحـــونٍ مـــدربـــةٍ ومن علـــة بن جلـــد
ومن سعـــدٍ كتـــائب معلمات على مـا كـــان من قـــرب وبعـد
ومـن جنـب مجنبـــــة ضروب لهام القـــوم بـــالأبطـــال تُـــردي

وسأله عمر بن الخطاب عن[1] قومه مذحج فقال: شداد فوارسها فوارس أبطالها أهل الربـا والرباح[2] فقـال له عمـر: وأين سعد العشيرة؟ قـال: هم أشدنا شريسا وأكثرنا خميسا[3] وأكرمنا رئيسـا وهم الأوفياء البررة المساعير[4] الفجرة.

واشتهر من قومه رجال عرفوا برجاحة العقل واتزانه وبعد النظر وعلو الهمة وقوة الشكيمـة كيزيـد بن عبد المدان القـائل لابن جفنـة في مجلسه ــ بعد أن ذمت وفود قيس النعمان بن المنذر وصغروه:[5] يا خير الفتيـان، ليس صغيرا من منعك العـراق وشركك في الشـام، وقيل لـه: أبيت اللعن. وقيل لك يـا خير الفتيان، وألفى أبـاه ملكا كما ألفيت أبـاك ملكا، فـلا يسرك من يغرك، فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه وايم الله ما فيهم رجل إلاّ ونعمة النعمان عنده عظيمة.

وقد غضب عـامر بن مـالك القيسي ملاعب الأسنـة وقال لـه: «يا بن[6]

---

(١) الأغاني ١٦/ ٧١ ـ ٧٢.
(٢) الربـا والرباح: النماء والكثرة. ولعلـه يريد أنهم ذوو عدد وفير، أو ذوو مـال كثير، أو إنهم يجزلون العطاء لمن يصنع إليهم خيرا.
(٣) الشريس: الشراسة، وهي عسر الخلق والشدة، والخميس: الجيش.
(٤) مسعر الحرب: موقدها ومهيجها.
(٥) الأغاني ١٢/ ١٤.
(٦) الأغاني ١٢، ١٤.

الـديـان! أمـا والله لتحتلبن بها دما! فقـال لـه: ولم؟ أزيـد في هـوازن من لا أعرفه؟ فقال: لا! بل هم الذين تعـرف. فضحك يزيد ثم قال: ما لهم جرأة بني الحارث، ولا فتك مـراد ولا بأس زبيد ولا كيد جعفـي، ولا مغار طيئ. ومـا هم ونحن يا خير الفتيـان بسـواء، ما قتلنـا أسيرًا قط، ولا اشتهينا حـرة قط، ولا بكينـا قتيلا حتـى نسيء به وإن هـؤلاء ليعجـزون عن ثأرهم، حتى يقتل السمى بالسمى، والكنى بـالكنى، والجار بالجار» وقال يـزيد[1] أيضا مفاخرا عامر بن الطفيل في موسم عكاظ وكـانا قد خطبا ابنه أمية بن الأسكر الكنـاني: يا عـامر، هـل تعلم شاعـرا من قـومي رحل بمدحـه إلى رجل من قومك؟ قال: اللهم لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم، قـال: فهل لكم نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ قـال: لا. قـال: فهل ملكناكـم ولم تملوكنـا؟ قـال نعم. فنهض يزيد وأنشأ يقول:

أمي يـــا بـن الأسكـــر بـن مُـــدلجْ [2]
لا تجعلـن هـــــوازنـــا كمـــــذحـجْ
إنـك إن تلهج بـــــالأمـــــر تَلْجِـجْ
مـــا النبـع في مغـرسِـه كـالعـــوسَجْ [3]
ولا الصريـح المحض كـــــالممـــزجْ [4]

---

(١) الأغاني: ١٢/ ١٠.

(٢) اي: أي يا أمية منادى مرخم.

(٣) النبع: ضرب من الشجـر تتخـذ منـه القسي ومن أغصـانـه السهـام، ينبت في قلـل الجبـال. والعوسج: ضرب من الشوك

(٤) الصريح: الخالص من كل شيء.

وطلب بنو عامـر من الشاعر مرة بن دودان النفيلي العامـري أن يهجو قوم يزيد فقال :

تكلفني هـــوازنُ فخَـــر قـــومٍ ... يقـولـون : الأنـام لنـا عبيـدُ [1]
أبـــونـــا مـــذحـج وبنـــو أبيـــه ... إذا مـا عُـــدت الآبـاءُ هـــودُ [2]
وهـل لي أن فخـــرت بغير حـقٍّ ... مقـــال والأنـــامُ لهم شهـــودُ
فأنـى تضرب الأعـــلامُ صفحـــاً ... عن العليـــاء أم من ذا يكيـــدُ
فقـولـــوا يـا بني عَيـــلان كُنّـا ... لهم قِنًّـــا ، فما عنهـــا مَحِيـــدُ [3]

---

(١) الأغاني : ١٢/ ١٢ .

(٢) هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .

(٣) القن : العبد .

obeikandl.com